مكافحة أمية الكبار

بقلم الدكتور رشدي عليان
كلية الآداب/جامعة بغداد

خلاصة وتمهيد :

الثروة الحقيقية التي لا تنضب لأي مجتمع انساني هي الانسان عقلا ومهارة وقدرة •

والأمية عقبة كأداء في سبيل تقدم ورقي المجتمع ، لأن الانسان اذا لم يكن على شيء من العلم والمعرفة فأنه سيظل عاجزاً عن تحقيق امكاناته ، وعن مسايرة الركب الحضاري ، بمعنى أن عدم العلم والمعرفة يحول بينه وبين بلوغ ما يستطيع بلوغه فيما لو توفرت له هذه المعرفة • وذلك بصرف النظر عن وعي الفرد ذاتيا بحدود امكاناته الموضوعة • وبالتالي فان عدم العلم والمعرفة يعتبر عائقا يحول دون الاستجابة لمتطلبات المجتمع في مرحلة من مراحل تطوره •

ومن البدهي أن أهم مستلزمات العلم والمعرفة ، وبالتالي تحضر الفرد باعتباره اللبنة الاولى في بناء المجتمع هو معرفة الانسان القراءة والكتابة •

فالانسان الذي يقرأ ويكتب ، لاشك في أنه يستطيع أن يتفهم الارشادات والتوجيهات والتعليمات التي تملى عليه ، أو التي يراها في الشارع ، وفي الساحات العامة ، وفي مختلف الاماكن • كما أنه يستطيع أن يتعرف على أخبار الامم وأحوالها ، وأسباب رقيها وانحطاطها • وذلك عن طريق قراءته للصحف والمجلات ومختلف المطبوعات •

ثم ان الانسان القارىء يملك الوسيلة لتوسيع مداركه العقلية ، ومضاعفة فرص الخبرة الانسانية ، والتزود من المعرفة وهذا مما يؤدي به الى النجاح في عمله أيا كان نوع هذا العمل •

ولا تقف أهمية القراءة عند هذا الحد ، بل ان لها كذلك قيمة اجتماعية ، اذ من المعلوم ان لكل أمة تراثاً ، ولكل أمة ثقافة ، وثقافة كل أمة نابعة من تراثها الحضاري ، وتراث الانسانية الثقافي والاجتماعي ينتقل من جيل الى جيل ، ومن فرد الى فرد عن طريق ما يخط أو يطبع من كتب ومؤلفات يقرؤها من يشاء حين يشاء • والالمام بالمادة المخطوطة أو المطبوعة يساعد في دعم الروابط الاجتماعية ، وفي تنمية الذوق وتعميق العواطف الانسانية ، فضلا عن رفعه لمستوى الفرد اجتماعياً واقتصادياً ، واسهامه المباشر في تحسين اقتصاد المجتمع ورفع كفايته الانتاجية ، وبالتالي تصديه للاحتكارات الاجنبية • فالقراءة تدخل في كل نواحي الحياة الحديثة وأوجه نشاطاتها المختلفة ، وتسهم بقدر كبير في تطويرها ، وهي للفرد وللجماعة أهم وسائل التفاهم والاتصال المادي والروحي •

والأمية تعتبر من أهم العقبات التي تعترض سبيل التقدم والنمو المطرد ، لارتباطها وتأثيرها الكبير في مختلف نواحي الحياة • وقد أدركت ذلك أكثر دول العالم ، فأخذت تتجه الى الاهتمام المتزايد بمحو الأمية وتعليم الكبار ، واعتبرت هذا النوع من النشاط جزء لا يتجزأ من التنمية الشاملة • التي تعد من أهم سمات التقدم العلمي في العصر الحديث •

وحكومة الثورة في القطر العراقي على رأس تلكم الحكومات التي أدركت خطر الأمية ، ووضعت من الخطط ما يكفل القضاء عليها •

المكافحة :

المكافحة في أصل اللغة مصادفة الوجه بالوجه ، يقال : لقيه كفحا ومكافحة وكفاحاً أي مواجهة • والمكافحة في الحرب المضاربة تلقاء الوجوه ، جاء في الصحاح : كافحوهم ، اذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره[1] •

وعدم معرفة الانسان بالقراءة والكتابة يقابله معرفته بها ، فالعلم نقيض

الجهل ، اذ العلم هو الاحاطة بالشي على ما هو عليه ، والجهل عدم الاحاطة بالشيء ، فالعلم هو الوجه المقابل للجهل •

وعليه فمكافحة الأمية تعني مواجهة عدم المعرفة بالمعرفة ، وعدم الاحاطة بالشيء بالاحاطة به • فتمكين الانسان من معرفة القراءة والكتابة بحيث يستطيع فهم ما يقرأ ويكتب يجعله أكثر فاعلية ونشاطاً ونفعاً في المجتمع ، فلا يتخلف عن ركب الحضارة الذي تشهده كبرى الدول ، فالفرد اذا كان على مستوى رفيع من النواحي العقلية والنفسية والجسمية والعلمية كان بأستطاعته أن يقدم خدمات جليلة لنفسه ولمجتمعه ولأمته[٢] •

والأمي في الغالب لا يعرف واجباته وحقوقه معرفة جيدة فالمزارع الأمي لا يعرف كثيراً من طرق الزراعة الحديثة ، فاذا تعلم أمكنه أن يضاعف انتاجه ويحسن نوعيته •

والجندي الأمي لا يستطيع أن يستخدم الاسلحة الحديثة بكفاية مما يجعله عاجزاً عن التصدى لعدو أكثر منه كفاية وقدرة على استخدامها ، فاذا تعلم صار أكثر كفاية ، وبالتالي يستطيع أن يحافظ على نفسه ووطنه وأمته •

والعامل الأمي لا يعرف كثيراً عن تطور الصناعة ووسائلها الحديثة ، فاذا تعلم أمكن أن يضاعف انتاجه ويحافظ على الآلة التي يستخدمها •

وهكذا ندرك أن الأمية خطر على المجتمع ، والأمي خطر على نفسه وعلى غيره •

لذلك كله تعمل حكومة الثورة على مكافحة الأمية بغرض حشد طاقات جميع المواطنين ، والاستفادة من امكاناتهم في النهضة الشاملة التي يشهدها القطر ، والتي تتجلى آثارها في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

ففي مجال مكافحة الأمية شرعت قانون محو الأمية ، وأسست لها مجلساً

أعلى ، سارع بدوره الى انشاء مراكز محو الأمية في جميع محافظات القطر ، وقد تعاونت معه كافة أجهزة الدولة الاعلامية والتربوية والتعليمية وغيرها .

وحين تقوم حكومة الثورة بمكافحة الأمية ، ونشر العلم والمعرفة ، فانما هي بذلك تمتثل أمر الله تعالى ، وتهتدي بهدي نبيه الكريم . فحين بُعث ـ عليه السلام ـ كانت الأمية متفشية في العرب ، وكان الجهل منتشراً بينهم فسعى جاهداً الى مكافحة الأمية ونشر العلم والمعرفة ومن وسائله في ذلك انه عندما أسر جماعة من الأعداء ، وصادف فيهم اناساً يقرأون ويكتبون طلب من كل واحد منهم أن يفتدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

وكان يحث على كتابة العلم وتسجيل المعرفة فيقول :

« قيدوا العلم بالكتابة[٣] وعلى طلب العلم بقوله :

تعلوا العلم فأن تعلمه حسنة ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعلمه ممن يعلمه صدقة ؛ وبذله قربة ، وهو منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، والدليل في الظلمة ، والمحدث في الخلوة ، والسنان على الأعداء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وفي الهدى أئمة ... »[٤] .

وبقوله : « اغد عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك » .

وبقوله : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة » .

ولم يكتف عليه الصلاة والسلام بالحث على التعليم ، وانما جعله « الزامياً » على المسلمين بقوله :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

والنبي الكريم اذ يقرر ذلك انما يبلغ عن ربه الذي أمره أول ما أمره بالقراءة ، بقوله :

« إقرأ بأسم ربك الذي خلق »[٥] .

وبقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلم يحذرون »[٦] .

فقد جعل سبحانه المسلمين فرقتين أوجب على احداهما الجهاد في سبيله ، وعلى الاخرى التفقه في دينه لئلا ينصرف جميعهم الى الجهاد فتندرس الشريعة . ولا يتفرغوا لطلب العلم فيتغلب الأعداء على المسلمين . فأقام على حراسة الاسلام وديارة المجاهدين وعلى حفظ الشريعة المتعلمين[٧] .

الأميـــة :

الأمي عند العرب العامي الذي لا تمييز له ، قال أهل اللغة : هو على خلق الامة التي لم تتعلم ، فهو على جبلته .

وقرر الطبري أن الأمي نسبة له بأنه لا يكتب الى الأم التي ولدته ، فهو على جبلته الأولى[٨] .

وقرر ابن تيمية أنه نسبة الى الأمة كما يقال : عامي نسبة الى العامة التي لم تميز عن العامة بما يمتاز به الخاصة ، وكذلك هذا لم يتميز عن الأمة بما تمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة[٩] .

وهناك من يرى أن الأمي نسبة الى أمة العرب مقابل أهل الكتاب « اليهود والنصارى » لعدم وجود كتاب سماوي لهم تدعوهم معرفته الى الاعتناء بالقراءة والكتابة ، يشير الى هذا قوله تعالى :

« وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فأن أسلموا فقد اهتدوا »[١٠] .

وقوله : « هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »[١١] .

ولكن الأمية بهذا المفهوم تشمل جميع الشعوب غير الكتابية كالفُرس والرومان .. ، بل انها تشمل كافة الشعوب التي سماها اليهود « جوييم » أي أميين ، انطلاقاً من تقسيمهم الناس الى خاصة « شعب الله المختار » وهم أبناء اسرائيل و « جوييم » أي عامة أو أمميين وهم أقل منزلة من الخاصة ، بل هم عبيد ومسخرون لخدمتهم ، كما تشير الى ذلك التوراة :

« اله اسرائيل ، قدوس اسرائيل ، الساكن في بيت اسرائيل ، شعب الله المختار ، تراث الرب ، أفرزتهم لك ميراثاً من جميع شعوب الأرض ، اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »[١٢] .

والقول بأن الأمي هو من لا يحسن القراءة والكتابة أو هو من لا يعرفهما أصلا هو أقرب المفاهيم وأدلها لقوله تعالى : « إقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »[١٣] ولقوله : « ن ، والقلم وما يسطرون »[١٤] فالمفهوم المتبادر من التعليم بالقلم هو الكتابة ، لأنه كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم في حياة الانسان .

الكبار :

المقصود بالكبار الاشخاص الذين لم يتمكنوا ابتداء من نيل حقهم في التعليم ، أو تمكنوا ولكنهم أساءوا استعمال هذا الحق .

ونعني بمكافحة اميتهم تعلمهم القراءة والكتابة وشيئاً من المعارف العامة بحيث يتمكنون من التدرج في تحصيل العلوم والمعارف ، وبهذا ينتقلون من

مرحلة المكافحة الى مرحلة المتابعة ، فالقراءة والكتابة إذن هما وسيلة الى غاية مقصودة وهدف منشود[١٥] .

وأرى من أجل تحقيق الهدف الذي ننشده من مكافحة أمية الكبار ضرورة وضع مناهج خاصة تتفق مع قدراتهم الذهنية وطبيعة أعمالهم المختلفة ، فحبذا لو أن الذين يعنيهم أمر تعليم الكبار يضعون مناهج مختصة لهذا الغرض تتفق مع رغبات ومتطلبات كل فئة من الامين لأن من البدهي أن ما يتطلبه العمال من مهارات وتوجيهات غير ما يتطلبه المزارعون . ورغبات هؤلاء جميعاً لا تتفق مع رغبات ربات البيوت مثلا . وهكذا لكل فئة من الدارسين وضعهم الخاص ومتطلباتهم الخاصة ، ورغباتهم المختلفة . فعدم التفريق في المناهج التعليمية بين مجموع فئات الدارسين ولا بين صغارهم وكبارهم له آثاره السلبية على العملية التعليمية ، فمما لاشك فيه أن الكبار يختلفون عن الصغار من حيث تمرسهم بالحياة ، وان لهم آراءهم الشخصية ولهم خبراتهم ومعلوماتهم الخاصة ، فضلا عما يتحملونه في كثير من الأحوال من مسؤوليات عائلية واجتماعية ، لذا يحسن تشجيع الكبار على أن يشتركوا في التعليم بأنفسهم على وجه نشيط مستمر .

وعلى أساس هذا المفهوم ينبغي العمل على تحرير الدارسين من القيود التي تفرضها عليهم البيئة غير الملائمة والانظمة التي تحول دون تحقيق رغباتهم ، وتمكينهم من تكييف أنفسهم على الحياة في هذا العالم ، وخاصة التغيرات السريعة التي تطرأ على جميع الميادين ، وانه لمن المهم بصورة خاصة استحداث وتطبيق الطرق التربوية التي تتلائم مع نفسيات الكبار ، ومع أهداف مكافحة الأمية . ومع المعارف الأساسية التي يتعين اكتسابها ، وكذلك مع البيئات الاجتماعية المختلفة واعداد المواد الملائمة لتعليم القراءة والكتابة والتي يستفيد منها الدارسون في مختلف أنشطة حياتهم ، ولهذا ينبغي أن تكون مادة الدراسة محتوية على

الموضوعات التي تستحوذ على اهتمام الدارسين كزيادة الانتاج ، وتحسين ظروف البيئة ، وكذلك الموضوعات التي تهم خطة التنمية[١٦] .

فأية عملية لمكافحة الأمية لا يكتب لها النجاح ما لم تتخذ منذ البداية الخطوات اللازمة لتوفير مختلف أنواع المواد التعليمية التي تلائم احتياجات ومصالح جماعات الاميين .

ويمكننا أن نقول في خاتمة البحث أن نجاح حملة مكافحة أمية الكبار يعتمد على ثلاثة عناصر رئيسة :

١ ـ منهج الدراسة من حيث ملائمته للدارسين .

٢ ـ طريقة التدريس التي ينبغي اتباعها في توصيل تلكم المعلومات الى أذهان المتعلمين .

٣ ـ نوعية المعلم الذي ينقل هذه المعلومات من حيث ضرورة ايمانه بأهمية عمله ، وكفايته لأداء هذا العمل .

فاذا روعيت هذه العناصر في عملية المكافحة أمكن الوصول الى الهدف المرجو من حملة مكافحة امية الكبار التي يشهدها القطر والتي جندت لها قيادتنا الثورية من الامكانات ما يكفل نجاحها بأذن الله .

هوامش البحث

١ ـ الزبيدي / تاج العروس جـ٢ ص ٣١٢ ٠
٢ ـ د٠ عليان / طرق تعليم الكبار ص ٢٢ ٠
٣ ـ الخطيب البغدادي / تقييد العلم ص ٦٩ ٠
٤ ـ الخطيب البغدادي / الفقيه والمتفقه جـ١ ص ١٥ ٠
٥ ـ العلق / ١ ٠
٦ ـ التوبه / ١٢٢ ٠
٧ ـ الخطيب البغدادي / الفقيه والمتفقه جـ١ ص ٥ ٠
٨ ـ الطبري / جامع البيان جـ١ ص ٣٧٣ ٠
٩ ـ ابن تيمية / مجموع الفتاوى جـ٤ ص ٤٣٦ ٠
١٠ـ آل عمران / ٢٠ ٠
١١ـ الجمعـة /٢ ٠
١٢ـ انظر : الغوييم ص٢٤ والامم ص ٧٧ من كتاب التوراة ـ تاريخها وغاياتها ـ لسهيل الديب ٠
١٣ـ العلق / ١ـ٥ ٠
١٤ـ القلم /١ ٠
١٥ـ د٠ عليان / طرق تعليم الكبار ص ٣٩ ٠
١٦ـ نفسـه ٠

أهم مصادر البحث

الزبيدي : محمد مرتضى
١ ـ تاج العروس ، الطبعة الاولى ، مصر ٠
عليان : الدكتور شوكت
٢ ـ طرق تعليم الكبار ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجامعة ـ بغداد سنة ١٩٧٨٠
٣ ـ العلم في الاسلام ، مطبعة الجامعة ، بغداد سنة ١٩٧٧ ٠
البغدادي : ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ٠
٤ ـ تقييد العلم ، الطبعة الثانية ـ دار احياء السنة النبوية ٠
٥ ـ الفقيه والمتفقه ، طبعة بيروت ٠
الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير ٠
٦ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبعة الثانية ، مطبعة الحلبي بمصر٠
ابن تيمية : تقي الدين احمد بن عبدالحليم الحراني ٠
٧ ـ مجموع الفتاوى ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ٠